عنوان المداخلة

العوامل المؤثرة في ترقية قيمة الحياء في أوساطنا المجتمعية

مداخلة أعدت للمشاركة بها في ملتقاكم المبارك ،الموسوم بـــالحياء في منظومة القيم الإسلامية والواقع المعاصر ـــ مقاربة معرفية تكاملية ـــ والمنظم من قبل مخبر الفقه الإسلامي ومستجدات العصر ،وفرقة بحث المرأة والأسرة ،المنتميين لكلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة : 1 ،والمزمع عقده يوم : 09 ماي 2023 م

المداخلة مندرجة ضمن **المحور الأول** الموسوم بالحياء في منظومة القيم الإسلامية .

الأستاذ الدكتور : نصر سلمان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر .

نص المداخلة

إن موضوع مداخلتنا الموسوم بـــــ : **" العوامل المؤثرة في ترقية قيمة الحياء في أوساطنا المجتمعية " أعددناه** من أجل الغوص في موضوع القيم والآداب ،هذه القيم التي ينبغي اتخاذها نبراسا تستضيئ به الأجيال ،رجاء تمثلها في واقعها المعيش ،والاهتداء بما تتضمنه من أخلاق سامقة ،لتكون خريطة طريق ،ومسلك اقتداء ،تغترف الأمم والمجتمعات من رضاب معينها الصافي ،ونبعها السلسبيل رجاء السمو بها إلى أعلى ذروات الذوق الرفيع ،والتمدن الحقيقي ،والرقي الحضاري ،في ضوء منظومة هذه القيم السامية عموما ،وقيمة الحياء وتأصيلاتها الشرعية ،وتطبيقاتها الواقعية على وجه الخصوص .

هذا وسنتناول موضوعنا هذا بالدراسة والبيان عبر النقاط الآتية :

أولا ـــ مفاهيم البحث الأساسية **:**وسنعالج فيها مفهوم مصطلحي القيم والحياء .

ثانيا ـــ التأصيل الشرعي لقيمة الحياء .

ثالثا ـــ العوامل المؤثرة في ترقية قيمة الحياء في الأوساط المجتمعية :

وسنتناوله من خلال**:**

1 ـــ إبراز دور المسجد في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم .

2 ـــ بيان تأثير دور الأسرة في تربية الناشئة وغرس القيم الحميدة في نفوسهم ،والتي منها خلق الحياء.

3 ـــ إظهار دور الخلطة في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم ،أو هدمها .

4 ـــ دور التعليم في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم .

5 ـــ دور وسائل الاتصال الحديثة في إرساء قيمة الحياء في نفوس المخاطبين .

6 ـــ إسقاط واقع قيمة الحياء على تصرفات أفراد مجتمعنا من خلال واقعنا المعيش .

أولا ـــ مفاهيم البحث الأساسية

وسنعالج فيه مفهوم مصطلحي القيم والحياء على النحو الآتي :

1 ـــ مفهوم القيم : لقد عرفت القيم بأنها :(مجموعة من المباديء والقواعد والمثل العليا التي نزل بها الوحي والتي يؤمن بها الإنسان ويتحدد سلوكه في ضوئها وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله والكون"(1).

2 ـــ مفهوم الحياء : عرفه الحافظ ابن حجر بقوله : " الحياء خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ ." [2]

وعرفه الجرجاني بقوله : " انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه. " [3].

ثانيا ـــ التأصيل الشرعي لقيمة الحياء

---

[1] الرفاعي، عبد الرحيم: القيم الأخلاقية في التربية الإسلامية من واقع منهج المدرسة الابتدائية العامة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، القاهرة، 1980. ، ص15.

[2] فتح الباري 1 / 52 .

[3] التعريفات للجرجاني 94 .

لقد وردت نصوص الوحيين مؤصلة لقيمة الحياء ،حاثة عليه ،مبرزة مكانته في واقع حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،مما ينبئ بضرورة تمثل الناس له في واقعهم المعيش ،وتلبسهم به اهتداء واقتداء ،ومن ذلك :

1 ـــ قال أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ،فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه . " [4].

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ " [5].

2 ـــ قوله صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتي إلا بخير ." [6].

3 ـــ عدم مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم للناس عندما يكره منهم شيئا **:**فعن أنس رضي الله عنه قال : "كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدًا بشيء يكرهه . "[7].وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده رجل به أثر صفرة، وكان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يواجه أحدًا بشيء يكرهه، فلما قام

---

[4]البخاري : الجامع الصحيح ،كتاب : المناقب ،باب :صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 4 / 190، كتاب : الأدب ،باب :من لم يواجه الناس بالعتاب، 8 / 26، كتاب : الأدب ،باب :الحياء ، 8 / 29 ،ومسلم : الجامع الصحيح ،كتاب :الفضائل،باب :كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم 7 / 77 ،وأحمد : المسند ،18 / 217 ،حديث رقم :11683 .

[5] الأحزاب : 53 .

[6]البخاري : الجامع الصحيح ،كتاب : الأدب ،باب :الحياء ، 8 / 29 ،ومسلم : الجامع الصحيح ،كتاب :الإيمان ،باب :بيان عدد شعب الإيمان،1/ 46،وأحمد : المسند ،33 / 64 ،حديث رقم :19830 .

[7]البخاري : الأدب المفرد ، باب :من لم يواجه الناس بكلامه، حديث رقم :436 ،وأبو داود : السنن ،كتاب :الترجل،باب :في الخلوق للرجال 4 / 261 ، وفي كتاب : الأدب ، باب : في حسن العشرة ،5 / 94 ،وأحمد : المسند ، مسند أنس بن مالك ، 19/ 366 ،حديث رقم :12367 ،و20 /77 ،حديث رقم :12628 .

الرجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم للقوم : " لو قلتم له يدع هذه الصفرة. " [8].

4 ـــ قول عائشة رضي الله عنها : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل له قلت كذا وكذا، قال : " ما بال أقوام يقولون كذا وكذا . " [9].

العوامل المؤثرة في ترقية القيم

1 ـــ إبراز دور المسجد في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم: إنّ المتأمّل لكتاب الله تعالى يلحظ اهتمامه البالغ بالمسجد، إذ ورد ذكره فيه ستا وأربعين مرة [10]

ولا شكّ أنّ شيئا يتكرر ذكره هذه المرات كلها إلا دليل على أهمّيته ومكانته في حياة الأمم والأفراد وأن له دور القيادة والريادة في التوجيه والتعليم والإرشاد.

إن الرائي والدارس لتاريخ المسجد في الإسلام يقرّ بالدور الرسالي الذي كانت تلعبه هذه المساجد في إرساء القيم السامية في حياة الأمم والأفراد، إذ كانت تغرس فيهم قيم تصحيح العقيدة ،وتهذيب السلوك ،وترقية الأخلاق من حياء، وصدق، وعفة، وتدريس للعلوم النافعة ونحو ذلك . [11]

كما كان ركنا شديدا لتحصينهم من الوقوع في العديد من القيم السلبية ،كالغلو والتطرف ،وسوء الأخلاق [12].

---

[8] البخاري : الأدب المفرد ، باب :من لم يواجه الناس بكلامه، حديث رقم :436 ،وأبو داود : السنن ،كتاب :الترجل،باب :في الخلوق للرجال 4 / 261 ، وفي كتاب : الأدب ، باب : في حسن العشرة ،5 / 94 ،وأحمد : المسند ، مسند أنس بن مالك ، 19/ 366 ،حديث رقم :12367 ،و20 /77 ،حديث رقم :12628 .

[9] أبوداود : السنن ،كتاب : الأدب ،باب :في حسن المعاشرة 5 / 93 ،وهو صحيح .

[10] محمد الداودي المسجد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء، 51 ،وما بعدها .

[11] منصور الرفاعي عبيد : مكانة المسجد ورسالته. 68.

[12] محمد العوضي سلام: من الظلمات إلى النور ، 51 .

ولذا يجب على المسجد لزاما في عصرنا الحاضر أن يضاعف نشاطه في القيام بدوره الفعال في التوعية وغرس القيم الفاضلة لا سيما الخلقية منها ، وأن يعود لبعث دوره الرسالي الذي كان يقوم به في سالف عهده ،إذ كانت للمسجد رسالة عظمى في توطين القيم في النفوس ،تنوء بحملها الجبال الراسيات، "فهو قلعة الإيمان، وحصن الفضيلة ،وباعث القيم ،وغارس الأخلاق ،وساقي الحياء ،وطارد الرذيلة ..."[13].

2 ـــ بيان تأثير دور الأسرة في تربية الناشئة وغرس القيم الحميدة في نفوسهم ،والتي منها قيمة الحياء :وذلك من خلال انعكاساتها وتأثيراتها الإيجابية على أفرادها بحيث : [14]

أ ـــ ينشأ في ظلها الأبناء تنشئة سوية كاملة في رعاية تربية الوالدين المؤصلين للقيم عموما وقيمة الحياء خصوصا في نفسية الابن ،مما يجعله يتشبع بهذه الأخلاق الفاضلة ،والتي سيمارسها كسلوك دائم في حياته وبين ظهراني أمته ومجتمعه ،مما يكون ذلك دافعا لرفع راية القيم عالية خفاقة في سماء الفضيلة ،وأوساط الشعوب والأمم .

ب ـــ ترسيخ المشاعر النبيلة والقيم الإنسانية من حياء وإيثارٍ وحبٍ للغير، وتعوُّدٍ على تحمُّل المسؤولية، حيث يكتسب في ظلال هذه الأسرة الصفات والخصائص الاجتماعية الحميدة، والدعائم الأولى للشخصية السوية النافعة للمجتمع ،والمسهمة في بلوغه مصاف التطور ،والتحضر ،والرقي .

ولكي تكون الأسرة محضنا كريما لتخريج الصالحين من أبنائها ، الذين يحملون راية القيم ،ومحاسن الأخلاق ،وبردة الحياء في مجتمعهم يجب أن تقوم على جملة من الأسس ،منها :

---

[13] خير الدين وانلي : المسجد في الإسلام ـ أحكامه، آدابه ـ بدعه، 9-11.

[14] - موقع : .www .alzatariorg.موضوع للدكتور الشيخ علاء الدين الزعتري بعنوان: "المقاصد الشرعية في الأسرة " .

أ ـــ أن يكون الدين أساسا لاختيار شريك الحياة فيها : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه, إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم".وفي رواية : " وفساد كبير"[15] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه, فليتق الله في الشرط الثاني". [16]

فالشريعة الإسلامية تحرص على وضع سياج واق لحماية المسلم من أية تيارات دخيلة, وذلك منذ تكوين النواة الأولى للأسرة ، حيث حثت الشريعة الإسلامية على اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة لقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض . "[17] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : " تنكح المرأة لأربع , لمالها, ولحسبها, ولجمالها, ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك " [18]

وهذا حرصا منها على انبناء الأسر على أساس متين من قيم التقوى وخشية الله عز وجل , إذ تعد الأسرة الحصن الحصين , والدرع المكين, والسياج الواقي من المخططات الدخيلة عن الإسلام , والتي يعمل أصحابها على ضرب أتباع الإسلام في قيمهم وعقائدهم, وذلك بإخراجهم من الملة ،وإبعادهم عن الآداب والأخلاق والفضائل،ولا شك أن الأسرة إذا كانت صالحة حصنت أبناءها من الانحراف العقدي,والجنوح الأخلاقي ،وذلك بغرس روح العقيدة في نفوسهم, وجعل الإسلام جزءا لا يتجزأ من حياتهم ,والقيم ديدنا لهم ،فلا تؤثر فيهم تلك المساعي الدنيئة ،العاملة بحزم وجد من أجل إخراجهم من

---

15 - الترمذي: السنن ،أبواب النكاح، باب :ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه 385/2 ،حديث رقم :1084 ،صححه الألباني ،سنن ابن ماجه ،1 /632 ،حديث رقم : 1967 ،

16 - الحاكم :المستدرك, كتاب : النكاح 2 / 175 .

17 - سبق تخريجه في هامش : 245 .

18 - البخاري : الجامع الصحيح ـ بالفتح ـ , كتاب: النكاح , باب : الأكفاء في الدين , 35/9 .

دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والضلال ،ومن ظلال القيم الوارفة ،إلى حمأة الرذيلة ،ودرك الأخلاق الخسيسة . [19]

3 ــ إظهار دور الخلطة في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم ،أو هدمها :

لقد رغب القرآن الكريم ،والسنة المطهرة في مخالطة الأبرار ،والابتعاد عن طاعة الفجار ومجالستهم ،قال الله عز وجل مخاطبا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا "[20]

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه : ((مثَلُ الجليس الصالح والسوء، كحامِل المسك ونافخ الكير؛ فحامِلُ المسك إمَّا أن يُحذِيك، وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإما أن تجدَ منه ريحًا طيبة، ونافخُ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أنْ تجد ريحًا خبيثة))[21]

كما ذكّر الإسلام أتباعه بجملة من الضوابط والشروط التي ينبغي أن تبنى عليها الخلطة ،والصحبة مع الآخرين ،والتي يأتي في مقدمتها أن تؤسس الصداقة على الحب والبغض في الله ،رجاء الفوز بظلال الله الوارفة يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار. " [22].

---

[19] - - سعاد سطحي : مداخلة مخطوطة بعنوان : كيفية مواجهة التنصير،،ألقيت بالملتقى الدولي حول : الحركة التنصيرية في المغرب العربي ،في نصف قرن : 1960 ـــ 2010 م ،المنظم من قبل : مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان ،يومي : 16 و17 ماي 2011 م ،بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ،الجزائر .

[20] الكهف 28

[21] البخاري : الجامع الصحيح ،باب : المسك ،3 / 96 ،حديث رقم :5534 .

[22] مسلم : الجامع الصحيح ،باب : بيان من اتصف بهن وجد حلاوة ،1 /66 ،حديث رقم : 43 ،والنسائي :السنن ،باب : طعم الإيمان ،8 / 94 ،حديث رقم :4987 ،وصححه الألباني ،وأحمد : المسند ،باب : مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ، 21 / 97 ،حديث رقم : 13406 ،وأبو يعلى :

وقال أيضا : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . " [23].

وقال أيضا :" المرء مع من أحب. " [24] وكذا مخاللة الأتقياء الذين لا تجلب صحبتهم الندم والحسرة والثبور يوم القيامة ،ومجانبة الوقوع في شرك مخالطة ومصاحبة أصدقاء السوء الذين تشبعت نفوسهم بالقيم السلبية ،والذين يكونون وبالا على مصاحبهم ،فيوردونه موارد التهلكة ،وينزلونه منازل الظلمة والضلال يوم العرض الأكبر على الله : قال – تعالى -:﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[25]،وقال أيضا : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [26].

كما بين الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مدى تأثر المرء بمرافقيه ،حتى جعله متأسيا بهم في كل شؤونهم ،والتي يأتي في مقدمتها دينه ،الذي هو عصمة أمره ، وذلك لما ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي

المسند ،باب : أبو قلابة : عبد الله بن زيد الجرمي 5 / 194 ،حديث رقم : 2813 ،والبزار : المسند ،باب : مسند أبي حمزة :أنس بن مالك ،13 / 173 ،حديث رقم : 2813 .

[23] البخاري :الجامع الصحيح ،باب : من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، 1 / 133 ،حديث رقم : 660 ، وباب : الصدقة باليمين ، 2 / 111،حديث رقم : 1423، وباب : من ترك الفواحش ، 8 / 163 ،حديث رقم : 6806 ،ومسلم : الجامع الصحيح ،باب : فضل إخفاء الصدقة ،2 / 715 ،حديث رقم :91 .

[24] البخاري :الجامع الصحيح ،باب : علامة حب الله عز وجل ، 8 / 39 ،حديث رقم : 6168 ،ومسلم : الجامع الصحيح ،باب : المرء مع من أحب ،4 / 2034 ،حديث رقم :2640 .

[25] الزخرف: 67 .

[26] الفرقان: 27 – 29.

– صلى الله عليه وسلم – قال: ((الرجل على دِين خليله، فلينظرْ أحدُكم مَن يخالل)) [27].

بناء على هذا الحديث ،يمكننا القول جازمين ،من خلال ما نشاهده في واقعنا المعيش ، بأنه كم من أناس انقلبت بذرة الخير التي في نفوسهم إلى شر ،وجذوة طلب العلم إلى كسل وإهمال ،ونخوة الأخلاق إلى رذيلة ، ونعمة السماحة ولين الجانب إلى غلو وتطرف ،ووسطية التعامل إلى إفراط أو تفريط ،وجمال الحياء إلى تميع وانحلال ،وهذا كله بسبب مخالطة رفقاء السوء ، الذين يوقعون أتباعهم في حمأة الرذيلة ،وأدران الفاحشة ،ومستنقع الدوس على القيم .

وصدق الشاعر حين قال:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ * * * فَكُـــلُّ قَرِيـــنٍ بِالْمُقَـــارَنِ يَقْتَـــدِي
إذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ * * * وَلَا تَصْحَب الأردى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

ولذلك نجد ديننا الحنيف جعل من الرفقة الصالحة ،سببا في الخروج من دائرة الخسار ،التي توقع صاحبها في ضنك العيش الدنيوي ،والبوار الأخروي ، هذه الصحبة الطيبة ، التي يذكر فيها الأصدقاء بعضهم بطاعة الله ،والإيمان به ،وفعل الصالح من الأعمال ، والجميل من الأخلاق ،مع التواصي بفضيلتي ، وقيمتي الحق ، والصبر قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[28]

---

[27] الترمذي : السنن ،باب :ما جاء لا نكاح إلا بولي ، 4 / 509 ،حديث رقم : 2378 ،وقال عقبه : " هذا حديث حسن غريب " ، وأبو داود: السنن ،كتاب :الأدب ،باب :من يؤمن أن يجالس ، 4/ 259 ،حديث رقم : 4833 وحسنه الألباني .

[28] العصر: 1 – 3 .

ولما رواه أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامَك إلا تقيٌّ)) [29].

وذلك لأن مصاحبة المؤمنين تجعل مصاحبهم يقتدي بهم ،في القيام بالأعمال الصالحة ،المتعلقة بالجانب العبادي ،فتراه يرافقهم للمسجد لأداء الصلاة ،ويتأثر بسلوكاتهم وأخلاقهم الحسنة، فيتمثلها نبراسا يهتدي به ،وقيما إيجابية ينتهجها في جميع تصرفاته ،هذا فضلا عن أن خلطة الأبرار تكون سبيلا لنجاته وزحزحته عن النار في دار البوار .

قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار، خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار. وأنشد:

وصاحب خيار الناس تنج مسلمـا وصاحب شرار الناس يوما فتندما [30]

والخلاصة : أن للرفقة أثرا في ترسيخ وتجذير القيم في أوساط المجتمع ،فإن كانت صالحة سادت القيم الفاضلة من حياء ،وصدق ،وأدب ،ورحمة ،وإيثار ،ونحو ذلك من الأخلاق والقيم السامية ،التي ترتقي بالمجتمع إلى مصاف التطور والرقي ، إذ لا استقرار ،ولا تحضر للأمم إذا غابت القيم ،والأمر نفسه إذا كانت فاسدة ،عم في المجتمع الخراب ،وانتشرت فيه عوامل انهياره ،إذ لا يعقل أن يتطور وأفراده يستسيغون الرذيلة في أوساطهم ، فتجدهم يعاقرون الخمر ، ويدمنون على المخدرات ،ويعتدون على الأعراض والحرمات ،ويدوسون على قيم الحشمة والحياء ،وقد أميتت في نفوسهم نوازع الخير ،وحلت محلها نوازع الشر والهلاك والدمار .

---

[29] أبو داود :السنن ،كتاب : الأدب ،باب : من يؤمر أن يجالس ،4 / 259 ،حديث رقم :4832 ، والترمذي :السنن ،أبواب: الزهد ،باب : ما جاء في صحبة المؤمن ،4 / 600 ،حديث رقم :2395 .

[30] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،13 / 28 .

4 ــــ دور التعليم في تربية الناشئة وغرس قيمة الحياء في نفوسهم : إن من أجَلّ ما تنفق فيه الأموال، وتبذل فيه الأعمال ، وتخصص له الأوقات، نشر العلوم النافعة لإنارة درب أبناء المجتمع ، واستغلال أوقاتهم وشغلهم بما فيه فائدة ومصلحة ،قصد القضاء على الجهل، والأمية، والتخلف الفكري، والجنوح الأخلاقي الذي ينعكس لا محالة على سلوكات الأفراد سلبا، إذ لا مخلص من ذلك إلا ببث العلوم وترقيتها، وذلك عن طريق العلوم التي تنشر الفضيلة وتحارب الرذيلة، وتصقل السلوك، وتقوِّم الأخلاق، وتربط الإنسان بمقومات دينه الحنيف، فتجعل منه فردا سويا في المجتمع، يتألم لآلامه ، ويفرح لآماله ،كما تجعل محيطه مستقرا آمنا مطمئنا، لا تروعه الجرائم التي غالبا ما يكون مقترفوها من الجهلة، وذوي المستوى العلمي المحدود، إذ العلم للمجتمعات كالهواء للأحياء البشرية، وصدق الإمام الجليل ابن القيم (رحمه الله) حين بين مكانة العلم للقلوب، وأنها لا حياة لها إلا به فقال:" إن الله سبحانه جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض، فكما أنه لا حياة للأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياة للقلب إلا بالعلم". [31]

ولا شك أن نشر العلم يؤدي إلى إحياء القلوب وزرع الخير ونشر الحياء والفضيلة والأخلاق السامية والعمل الصالح بين أفراد المجتمع ، ومعرفة الآداب والقيم والأخلاق التي يجب التحلي بها.

هذا وللوصول لمجتمع فاضل يسوده الحياء ،وتغمره القيم ،وتسنده الأخلاق السامية يجب تكييف البرامج المدرسية بما يلائم تحصين الناشئة من الأخطار الداهمة وذلك:

أ ــــ بإشباع البرامج المدرسية بالقيم النبيلة ،والمبادئ السامية ،والأخلاق الفاضلة ،والآداب الحميدة ،وفي مقدمتها خلق الحياء ،هذه القيم التي تجعلها تحصّن الناشئة من خطر الانحراف والانجراف في حمأة سوء الأخلاق ووطأة الرذيلة .

---

[31] مفتاح دار السعادة168 .

ب ـــــ غرس أسس قيمة الحياء في نفوس الناشئة بحيث يتشربها الجيل روحا وريحانا فتصبح جزءا من كيانه, لا تستطيع العواصف الهوجاء ولا التيارات المنحرفة, ولا الحركات الهدامة أن تزعزعها ،أو تؤثر فيها , وذلك لأنها طبعت في قلوب ناشئتنا , وجرت منهم مجرى الدم من العروق, ومسرى الهواء من الرئة ،ولذا فإن الأمانة الملقاة على عاتق المدرسة ثقيلة, تنوء بحملها الجبال الراسيات , إذ لها دورها الفعال في تحصين الناشئة من خطر الرذيلة , والفهوم المنحرفة [32].

ج ـــــ يضاف لذلك كله اختيار المعلم الأمثل ،لأنه هو قطب الرحى في بث الأخلاق والقيم الفاضلة في روع طلابه وتلاميذه ،ولذ يجب تحليه ببعض المواصفات التي تسهم في الرقي بذلك كله والتي منها ما جاء على لسان ابن سينا حيث يقول : " على مؤدب الصبي أن يكون بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان " [33] ،علما بأن الطفل يرى في معلمه نموذجا يحتذى ،فيحاول تقليده في سلوكاته ،وتصرفاته ، مما يؤثر على مسار حياته ،ولذا يجب الاختيار الأمثل لهذا المعلم ،الذي يكون له دور الريادة في تجذير وترسيخ قيم الأخلاق الفاضلة في نفوس المتعلمين ،الذين هم صمام الأمان ،وعدة الأوطان في النهوض بها إلى عالم التقدم والرقي بين الأمم .

5 ـــــ دور وسائل الاتصال الحديثة في إرساء قيمة الحياء في نفوس المخاطبين : لمواجهة هذا الخطر الداهم على أخلاق ناشئتنا وحيائها ،لا بد من استعمال الوسائل نفسها التي يستخدمها أعداء الإسلام لنشر سمومهم في أوساط مجتمعاتنا ,كبثهم لقيم الرذيلة ،والفساد الأخلاقي، المنافيين لخلق العفة والحياء ونحوهما،عبر الوسائط الاتصالية الحديثة ،بحيث تستدعي مواجهتهم الاستعانة بأحدث الوسائل لتحذير الناس من خطرهم ، وبيان زيف دعوتهم , وعرض نماذج لمن انحرفوا ، وخالطوا الرذيلة ، ثم بعد ذلك تابوا , ورجعوا

---

[32] ـ سعاد سطحي : مداخلة مخطوطة بعنوان : كيفية مواجهة التنصير،،ألقيت بالملتقى الدولي حول : الحركة التنصيرية في المغرب العربي ،في نصف قرن : 1960 ـــــ 2010 م ،المنظم من قبل : مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان ،يومي : 16 و17 ماي 2011 م ،بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ،الجزائر .

[33] كتاب السياسة، فصل سياسة الرجل ولده .

إلى حظيرة الإسلام ,وحضن مجتمعهم الإسلامي الدافئ المليء بقيم الحياء والحشمة والفضيلة [34] وبيان أن الإسلام يحقق السعادة في الدارين الدنيا والآخرة إذا تلبس متبعوه بالقيم السامية , وأن الشقاء كل الشقاء في الابتعاد عنها قال تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى } [35].

وصفوة القول :إنه يجب على وسائل الاتصال الحديثة ،من أنترنت ،وقنوات فضائية مرئية ،وإذاعات مسموعة ،وجرائد مقروءة ،أن تسهم بدور فعال في إرساء القيم الفاضلة والتي منها خلق الحياء،وذلك ببيان محاسنها ،وآثارها الطيبة على الفرد والمجتمع ، كما أنه لزام عليها أن تقوم بدور الحارس الأمين في المحافظة على القيم ،وذلك ببيان زيف ،وكيد ،وكذب ما تنشره هذه الوسائل الحديثة من أوهام وسموم تضرب قداسة وحرمة القيم الإسلامية في مقتل .

6 ـــ إسقاط واقع قيمة الحياء على تصرفات أفراد مجتمعنا من خلال واقعنا المعيش :إن المتأمل لواقعنا المعيش يلحظ تلطخ عرشه الطاهر بذلكم الاغتراب الفكري والسلوكي المدمر لقيمة الحياء في نفوس ناشئتنا ،وهو ما نلاحظه في قصات الشعر كقصة الديك ،والسراويل الممزقة ،والهابطة في آن واحد ،وصبغ الشعور ،والتشبه بالجنس اللطيف في الرقة والدلال والميوعة في الأسماء مثل : بوبو ،وسوسو ،وميمي ،وشوشو ،ونونو ونحو ذلك ،وصدق مفدي زكريا في إلياذته حين تنبأ بهذا كله في قوله :

طبائعنا صالحات جليلـــه تعاف انحـلال النفوس الذلـــيلـه
وتأبى رجولـــتنـــا الابتـــذال وأحـــلاسـه والشعـور الطويلـه

---

[34] - سعاد سطحي : مداخلة مخطوطة بعنوان : كيفية مواجهة التنصير،،ألقيت بالملتقى الدولي حول : الحركة التنصيرية في المغرب العربي ،في نصف قرن : 1960 ـــ 2010 م ،المنظم من قبل : مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان ،يومي : 16 و17 ماي 2011 م ،بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ،الجزائر .

[35] -طه : 124 – 126 .

تخنث هذا الزمـان ودبـــت خنافيس "هيبـي" تشيع الرذيله
ونافـسَ آدم حـوّاءه دلالا وغـنجًا، وذبـــــــح فضيلـــــه
ولولا النهود لمـا كنـت تفـــرق بين جميـل وبين جمـــيلـه

وختاما :أسأل الله لبذرة الحياء أن تنمو وتزهر في واقعنا المعيش ،حتى نتفيأ ظلالها الوارفة ،ونتلمس ثمارها اليانعة ،ونتمثل جمالها الأخاذ في أخلاق أبناء مجتمعنا ،لا سيما فئة الشباب منهم ،وما ذلك على الله بعزيز ،وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .